* سِلْسِلَة : المقامات الأدبيَّة (٣)

مَقَامَةُ كُورُونَا

بقلم

أحمد بن علي القَرني

عُضْو رَابطَةِ الأدَبِ الإسْلامِي العَالَـمِيّـة

النشْرةُ الأولى

جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ

لِلتَّواصُلِ مَعَ الـمُؤَلِّفِ

على البَريدِ الشَّبَكيِّ

DAL1388@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مَقَامَةُ كُورُونَا

حَدَّثَنَا نَاثِرُ بنُ نَظَّام، قَال: بَيْنَا أَنَا أَتَجَوَّلُ فِي بَعْض العَوَاصِمْ، إِذْ وَرَدَ عَلَيَّ نَبَأٌ كَحَزِّ الغَلَاصِمْ. وَقَعَ عَلَى صِيوَانِ سَمْعِي وَقْعَ (الكُرْبَاجْ)، وَقَصَفَ جُيُوشَ أَحْلَامِي قَصْفَ (المِيرَاجْ)!

فَقَدْ أَعْلَنَتْ وَكَالَاتُ الأَنْبَاءْ، عَنْ تَفَشِّي نَوْعٍ جَدِيدٍ مِنْ أَنْوَاعِ الوَبَاءْ، سَرَى فِي النَّاسِ سَرَيَانَ الكَهْرَبَاءْ!

وَقَدْ مَسَّ هَذَا الْبَلَاءُ جَمِيعَ أَجْنَاسِ البَشَرْ، واصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِـ (كُوفِيدْ تِسْعَةَ عَشَرْ).

وَأَعْلَنُوا مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ عَنْ تَوَقُّفِ المَطَارَاتْ، وَتَعَطُّلِ القِطَارَاتْ. لَا فِي مِصْرٍ وَحِيْدٍ بَلْ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارْ، وَلَا فِي قُطْرٍ بَعِيْدٍ بَلْ فِي عُمُومِ الأَقْطَارْ.

فَاضْطَرَبَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنِّي المِزَاجْ، وَعَصَفَتِ الوَسَاوِسُ بِالقَلْبِ فَهَاجْ، وَصَارَ كَالْغَرِيقِ تَتَقَاذَفُهُ الأَمْوَاجْ.

❋❋❋

وَالنَّاسُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِي أَمْرٍ مَرِيجْ، قَدْ عَلَا مِنْهُمُ الصِّيَاحُ وَالضَّجِيجْ، وَكَثُرَ فِيهِمُ العَوِيلُ وَالنَّشِيجْ. وما ذَاكَ إِلَّا لِهَوْلِ الْكَرْب، وَعِظَمِ الْخَطْب.

فَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِم حَظْرُ التَّجْوَالْ، وَحُبِسُوا فِي بُيُوتِهِم كَالْأَطْفَالْ، حَتَّى أَضْحَى أَكْثَرُهُم بِلَا عَمَلٍ وَلَا مَالْ!

وَرَصَدَ الْحَرَسُ عَلَى أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ وَالْمَجَامِعِ لِقِيَاسِ الحَرَارَهْ، غَيْرَ مُبَالِيْنَ بِمَا يَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْتَّأَفُّفِ وَالعَرَارَهْ!

وَأُلْزِمَ النَّاسُ حَالَ الْخُرُوجِ لِلضَّرُورَةِ لُبْسَ الْكِمَامَهْ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْمُخَالَفَةِ أَقْسَى الغَرَامَهْ. حَتَّى حَدَا حَادِيْهِمْ بِمَا يُشْبِهُ النُّوَاحْ، فَانْتَشَرَ صَدَى صَوْتِهِ فِي جَمِيْعِ النَّوَاحْ :

أُقْعُدْ بِبَيْتٍ وَاحْذَرِ الْبُرُوزَا

وَلَوْ مَلَكْتَ (البِنْزَ) وَ (الكُرُوزَا)!

وَإِنْ خَرَجْتَ فَالْبَسِ الْكِمَامَهْ

لِكَيْ تَقِيْ الْجَيْبَ مِنَ الْغَرَامَهْ!

وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيْطِ يَا هَذَا فَمَا

مِنْ حِيْلَةٍ، وَغَطِّ أَنْفًا وَفَمَا

فَإِنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ

لِدَفْعِ عَدْوَى الْمَرَضِ الْوَثَّابِ

أَعْنِي (الْكُرُونَـا) حَاصِدَ الْأَرْوَاحِ

وَجَـالِـبَ الْأَحْـزَانِ وَالْأَتْـرَاحِ!

وَلَـمْ يَعُدْ بَعْضُهُـم بِسَـبَبِ الْكِمَـامَةِ يَعْـرِفُ بَعْضَا، وَإِنَّمَـا يَسْـتَدِلُّونَ عَلَى الشَّـخْصِ بِحَجْـمِ هَيْكَلِهِ طُوْلًا وَعَرْضَا!

حَتَّى إِنَّنِي ذَاتَ مَرَّهْ، دَخَلْتُ مَـجْلِسًا عَلَى حِيْنِ غِرَّهْ. فَلَمَّـا بَصُرَ بِيَ الـجُلَّاسُ أَنْـكَـرُونِـيْ، فَأَنْشَدتُ :

أَنَـا ابْـنُ عَلِـيْ وَقَـلَّاعُ الثَّنَايَـا

مَتَـى أَضَـعِ الْكِمَـامَـةَ تَعْرِفُـونِـيْ!

فَلَمَّـا وَضَعْتُهَا عَرَفُوا مَنْ أَكُونْ، وَقَالُوا: مَـرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ نَظْمُونْ!

❋❋❋

قَالَ الـرَّاوِي : وَقَدْ عَمَّ الْكَسَـادُ جَمِيْـعَ الْـمَعْمُورَهْ، وَأَصْبَحَـتِ البَرَايَا مِنْهُ خائِفَةً مَذْعُـورَهْ. وَنَفَدَتِ الْـمُؤَنُ مِن مُعْظَمِ الْـمَتَاجِرْ، وَخَسِرَ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ الْـمُسْتَهْلِكُ وَالتَّاجِرْ. حَتَّى صَارُوا لَا يَـجِدُونَ الْـبَيْـضَةَ الْـمَسْـلُوقَهْ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ السَّادَةُ وَالسُّوْقَهْ!

وَتَعَطَّلَتْ بِسَـبَبِهِ الدُّرُوسُ وَالْـمُحَاضَـرَاتْ، وَحُرِمَ النَّاسُ حُضُـورَ اللِّقَاءَاتِ وَالاجْتِمَـاعَـاتْ. إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْـحِـرْصِ لَـجَـئُـوا إِلَـى (الـزُّووِمْ)، فَبَثُّـوا مِـنْ خِلَالِـهِ الـمُحَاضَـرَاتِ والْـعُلُومْ. وَصَـارَ التَّعْلِيمُ - بَعْدَ أَنْ كَانَ قَرِيْبًـا - عَـنْ بُعْدْ، فَحَصَلَ بِسَـبَبِ ذَلِكَ تَوْفِيـرٌ لِـلْمَـالِ وَالْـجُهْدْ!

أَمَّا الـمَسَاجِدُ فَقَدْ خَلَتْ مِنَ العُبَّـادْ، وَغُـلِّقَ أَكْـثَـرُهَا فِـي وُجُـوهِ الْعِبَـادْ. فَلَقِيْتُ ذَاتَ يَـوْمٍ خَطِيْبَ الْـجَامِعْ،

وَقَدْ وَكَفَتْ مِنْهُ الـمَدَامِعْ. فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْـحَالْ، فَأَنْشَدَ فِي الْـحَالْ:

مَسَـاجِدُنَا خَلَـتْ مِـنْ زَائِرِيْـهَـا
وَصَـارَتْ قَفْـرَةً بَعْـدَ الزِّحَـامِ
مَصَاحِفُهَـا تَـكَادُ تَـذُوبُ حُزْنـًا
وَمِنْبَرُهَـا إِلَـى العُبَّـادِ ظَامِـي
تَعَطَّلَـتِ الـمَصَالِـحُ فِـي الْبَرَايَـا
وَصُـدَّ العَامِلُونَ عَنِ (الـدَّوَامِ)!
وَأَصْبَـحَ جُلُّهُـمْ مِـنْ غَيْرِ شُـغْلٍ
فَهَـلْ يَسْـعَوْنَ لِلمَـالِ الْـحَرَامِ؟!
فَيَـا رَبَّـاهُ عَجِّـلْ بِانْـدِحَـارٍ
لِفَيْـرُوسٍ عَثَا فِـي الأَرْضِ حَامِي

وَيَـــا رَبَّـــاهُ عَـجِّـلْ لِـلْـبَـرَايَا
بِـإِطْـلَاقِ الإِسَـارِ مِـنَ الـمُقَـامِ
فَقَـدْ مَـــلَّ الأَنَـامُ لُـــزُومَ بَيْـــتٍ
وَحَـــنُّـوا لِلِّـقَاءِ وِلِلـــسَّلَامِ

❋❋❋

وَقَدَ حَـارَ فِي وَصْفِ فَيْـرُوسِ (كُورُونَا) العُلَمَـاءْ، وَتَاهَ فِي إِدْرَاكِ كُنْهِهِ الـحُكَمَـاءْ. فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ مُصَنَّعْ، وَمِنْ قَائِـلٍ: إِنَّهُ مُـجَمَّعْ، وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّـهُ مُؤَامَرَهْ، وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ مُتَاجَرَهْ!

لَكِنَّ أَهْـلَ الفِطْنَةِ أَدْرَكُـوا، أَنَّهُ ابْتِلَاءٌ مِـنَ اللهِ مَهْمَـا فَبْرَكُوا. وَأَنَّهُ لَا كَاشِفَ لَهُ سِـوَاهُ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّاهُ.

فَمَعَ كَوْنِهِ لَا يُرَى بِالْعَيْنِ الـمُجَـرَّدَهْ، إِلَّا أَنَّ آثَارَهُ فِي الْعَالَـمِ مُؤَكَّدَهْ.

فَمِـنَ النَّاسِ مَنْ أَصَابَهُ هَذَا الْوَبَـاءُ وَمِنْهُمْ مَنْ كُفِيْ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ بِسَبَبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ شُفِيْ.

وَكَـمْ قَـدْ هَلَكَ بِهِ مِـنَ الْـمَشَـاهِيـرْ، وَمِـنَ العُلَمَـاءِ النَّحَارِيـرْ، وَلَـمْ يَسْـتَطِعْ دَفْعَـهُ لَا مَأْمُـورٌ وَلَا أَمِيـرْ، فَسُبْحَانَ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرْ.

وَقَدْ أُصِبْتُ بِهِ فِيْمَنْ أُصِيبْ، وَمَرَّ عَلَيَّ بِسَبَبِهِ زَمَنٌ عَصِيـبْ. لَكِـنَّ اللهَ بِلُطْفِهِ شَـفَانِي، وِمِنْ آثَـارِهِ حَمَانِي وكَفَانِي.

وَقَـدْ وَعَى الوَاعُـوْنْ، أَنَّ هَذَا الوَبَاءَ لَيْـسَ مِنْ قَبِيْلِ الطَّاعُونْ. وَلِذَا فَقَدْ دَخَـلَ الـمَدِيْنَـةَ الـمُنَوَّرَهْ، وَهِيَ عَنِ الطَّاعُونِ مَنِيْعَةٌ مُسَـوَّرَهْ. فَالـحَمْـدُ لِـلَّـهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا

بِسُكْنَاهَا، وَأَحَلَّنَا بِفَضْلِهِ سَاحَهَا وَمَغْنَاهَا.

❋❋❋

قَالَ الرَّاوِي: وَقَدْ تَنَادَى العَالَمُ مِنْ أَدْنَاهُ إِلَى أَقْصَاهْ، لِمُدَافَعَةِ هَذَا الوَبَاءِ الَّذِي أَشْقَاهُ وأَضْنَاهْ، وَأَرْغَمَ مِنْهُمُ المَعَاطِسَ وَالجِبَاهْ، حَتَّى صَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَاغِرًا فَاهْ!

فَسُبْحَانَ مَنْ عَطَّلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِفَيْرُوسْ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَعْظَمُ العِبَرِ وَالدُّرُوسْ. فَقَدْ تَبَجَّحَ العَالَمُ بِالإِثْمْ، وَفَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمْ. حَتَّى إِذَا وَصَلَ بِهِمُ الحَالُ إِلَى الغُرُورْ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا جَمِيعَ الأُمُورْ. ﴿أَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونْ﴾، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وَقَدْ هَرَعَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ قُطْرٍ لِصُنْعِ اللِّقَاحْ، لِيُنْقِذُوا بِهِ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الرَّوَاحْ.

وَنَصَحُوا بِكَثْرَةِ غَسْلِ الْأَيْدِي وَتَعَقِيمِهَا بِالْمُعَقِّمْ، وَجَعَلُوا عَدَمَ مُلَامَسَةِ الْأَشْيَاءِ كَالْوَاجِبِ الْمُتَحَتِّمْ. وَبَعْضُهُمْ أَوْصَى بِكَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءْ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءْ!

وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَأَجَابْ، وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَهُ وَأَصَابْ:

يَا سَائِلِيْ عَنْ مَرَضِ (الْكُرُونَا)

وَمَا يَقِيْ مِنْهُ لِمَنْ يَعُوْنَا

اغْسِلْ يَدَيْكَ دَائِمًا وَنَظِّفِ

بِالْمَاءِ وَالصَّابُونِ ثُمَّ جَفِّفِ

لَا سِيَّمَا مَعْ كَثْرَةِ الْمُلَامَسَهْ

وَاهْرُبْ مِنَ الزِّحَامِ وَالْمُلَابَسَهْ

لِلنَّـاسِ فِيْمَـا لَيْـسَ ثَـمَّ دَاعِ
لَـهُ، وَكُـنْ هُـدِيْـتَ خَيْـرَ وَاعِ
وَلَا تُعَانِـقْ مَـنْ تَشُـكُّ فِيْـهِ
فَرُبَّمَـا كَـانَ الوَبَـا بِفِـيْـهِ!
فَقَـدْ أَتَـى عَـنِ البَشِـيْرِ الهَـادِيْ
«فِـرَّ مِـنَ المَجْـذُومِ» بِابْتِعَادِ
وَأَكْثِـرَنْ يَا صَـاحِ شُـرْبَ المَاءِ
وَاحْرِصْ عَلَـى الأَذْكَارِ وَالدُّعَـاءِ
وَالْـجَأْ إِلَى الرَّحْمَـنِ فِي تَضَرُّعِ
وَادْعُ إِلَـهَ الكَـوْنِ فِـي تَـخَشُّـعِ
وَاسْـأَلْهُ أَنْ يُزِيْـلَ عَنَّـا الغَمَّـا
وَأَنْ يُزِيْـحَ كَرْبَنَـا وَالْـهَـمَّـا

❋❋❋

إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَالَ العَارِفُونْ، وَذَكَرَ الحُكَمَاءُ السَّالِفُونْ: فِي كُلِّ مِحْنَةٍ مِنْحَهْ، وَفِي كُلِّ تَرْحَةٍ فَرْحَهْ.

فَقَدْ خَفَّ الانْحِلَالُ الَّذِيْ كُنَّا نَرَاهْ، وَتَعَطَّلَتْ بِسَبَبِهِ الشَّوَاطِئُ مِنَ العُرَاهْ!

وَتَنَقَّبَتِ النِّسَاءُ رُغْمَ أُنُوفِهِنْ، فَلَمْ تَعُدْ تَرَى شَيْئًا مِنْ وُجُوهِهِنْ. بَعْدَ أَنْ كُنَّ يَمْشِيْنَ سَافِرَاتْ، وَيَخْرُجْنَ حَاسِرَاتْ!

وَانْتَهَى العَالَمُ عَنْ كَثِيْرٍ مِنَ العَرْبَدَهْ، وَلَزِمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَلْبَدَهُ أَوْ مَعْبَدَهْ!

وَانْحَسَرَ كَثِيْرٌ مِنْ مَدِّ الفَسَادْ، وَلَجَأَ النَّاسُ إِلَى رَبِّ العِبَادْ. يَسْتَوِيْ فِي ذَلِكَ المُسْلِمُ وَالْكَافِرْ، وَالبَرُّ وَالْفَاجِرْ. وَصَدَقَ اللهُ وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينْ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾.

قَالَ نَاثِرُ بنُ نَظَّام: وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيْرُ قَدْ أَثْقَلَتْنِي الهُمُومْ، وَغَيَّمَتْ فَوْقَ رَأْسِي سَحَائِبُ الغُمُومْ. إِذْ جَلَا هَمِّيْ نَبَأُ اكْتِشَافِ اللِّقَاحْ، فَتَبَدَّدَ الهَمُّ عَنْ صَدْرِيْ وَانْزَاحْ، وَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِجَاعِلِ اللَّيْلِ سَكَنًا وَفَالِقِ الإِصْبَاحْ!

تَمَّتْ